الخطاب الإبداعي بين التيه والمباهاة
دراسة في شعر السليك بن السلكة وعمرو بن براق

الباحثة/ انتصار أحمد يعقوب يوسف عقيلي
باحثة دكتوراه، بقسم اللغة العربية وآدابها
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة الملك سعود- المملكة العربية السعودية

الملخص:
تُعنى الدراسة ببحث أوجه التعبير في الخطاب الإبداعي في شعر المبدع الذي تعرض للإبعاد عن الناس، واختارت الدراسة شعر السليك بن السلكة، وشعر عمرو بن براق، لكونهما صعلوكين ولما في شعرهما من مزاوجة بين التعبير عن التيه والتعبير عن المباهاة أدت إلى أن يظهر في شعرهما محددات خاصة عن الهوية عنيت بها الدراسة التي استفادت من المنهج النفسي في تحليل شعرهما، وتوصلت الدراسة إلى أن تنقل الشاعرين بين التعبير عن التيه والتعبير عن المباهاة يعود إلى حياة الشاعر المبعد القاسية التي تضطره إلى إخفاء ألم شقاء العيش وقسوته خشية أن يظهر منه أي ضعف يؤدي بأعدائه إلى الفتك به.

ABSTRACT:

The study is concerned of studing the aspects of expression in the creative speech in the poetry of the creator who was subjected to deportation from the people, The study chose the poetry of Al-Sulaik ibn Al-Salkah, and the poetry of Amr ibn Buraq, because they were tramps and because in their poetry there was a combination of expression of wandering and expression of ostentation, which led to the appearance of specificities in their poetry, Especially about identity, the study was concerned, which made use of the psychological approach in analyzing their poetry, The study concluded that the two poets' movement between expressing loss and expressing ostentation goes back to the harsh life of the deported poet, which forces him to hide the pain of the misery and cruelty of living for fear of showing any weakness that would lead to his enemies To kill him.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

يضع الإبعاد عن الناس الشاعر المبدع في موقف يفقده ما يعيشه الشاعر غير المُبعد، فهو يفقد الأمان والمؤازرة كما يفقد الثقة بمن هم حوله، فيضعه ذلك في مواجهة التيه وما فيه من خوف وشقاء ومعاناة متتابعة، لا يرى سبيلًا لتوقفها "فالإنسان من حيث هو شخص، ليس مجرد فرد معزول، إنه أنا تعيش إلى جانب الآخرين، وهو في حاجة إليهم، والعكس صحيح، وتمثل الجماعة المكان الملائم له؛ لكن هذا التعايش يطرح عدة إشكالات ذاتية وموضوعية، إشكالات تتعلق بالغير المخالف أو المشابه لأناه[1]"، لكن هذا التيه يظهر عند الشاعر الصعلوك بمظهر خاص يتطلب منه محاولة التحكم به؛ لأن أي إظهار للضعف والتعبير عنه قد يعرض حياته للهلاك، لكثرة أعدائه الذين يرجون القضاء عليه "ويبدو أن أي تيه هو تعبير عن اغتراب معرفي في جوهره[2]"، وهذا ما يضطر الشاعر الصعلوك إلى تحويل مواضع التيه إلى أسباب يباهي فيها بمدى قوته وقدرته على اجتياز أصعب الظروف، فهذه الدراسة تُعنى بتعبير المبدع الذي تعرض للإبعاد في خطابه الإبداعي عن التيه والمباهاة، وبحث سبل اتجاه المبدع إلى التعبير عنهما.

واختارت الدراسة شعر السليك بن السلكة، وشعر عمرو بن براق لما ظهر في شعرهما من تمازج بين التعبير عن التيه والمباهاة، ولكونهما يمثلان شعر من تعرض للنفي لأنهما صعلوكين، وتُفيد الدراسة من المنهج النفسي في بحث سبل التعبير الإبداعي عن التيه والمباهاة، وأسباب التحول بينهما.

---

١ زهير المدنيني، **إنية الإنساني ومنزلة الآخر**، (صفاقس: دار نهى، ٢٠١٠م، ط١)، ص٦٦.

٢ منير الحافظ، **سوسيولوجيا الرهبة: الأنا القومية وأنماط ثقافة الخوف**، (دمشق: الذايا للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠١١م، ط١)، ص١٤٣.

أولًا: الخطاب الإبداعي بين التيه والمباهاة عند السليك بن السلكة:

عُدَّ السليك بن السلكة (ت١٧ق.ه) من الصعاليك ويظهر في شعره التمازج بين التعبير عن التيه، والتعبير عن المباهاة، إذ قال:

أمُعتقلي رَيبُ المَنونِ ولم أَرُع عصافير وادٍ بينَ جأشٍ ومَأرِبِ[١]

يباهي بقدرته على مواجهة الصعاب، وهو في ذلك يتساءل منكرًا عن تمكن الصعاب من الفتك به، ثم دلل على مدى قوته عبر ذكر وجوده في المواضع الصعبة، منها وجوده في وادٍ بين جأش ومأرب، فعلى الرغم من قسوة المكان ورهبته، إلا أنه لم يخشَ صعابه، فهذا الأمر جعل السليك منه حدثًا مركزيًا محوره قوله: (لم أرُع)، ليجعل من هذا الحدث دليلًا على قوته وشاهدًا يُذكره بعدم الخوف من أي صعاب تحدث بعده، "فهوية المتحدث تظهر في الأسلوب الذي يستعمله في حديثه عن ذاته[٢]"، ويظهر في البيت التعبير عن المباهاة التي يتخللها وصف للتيه والمشقة.

فهو يخوض حياة صعبة تجبره على الولوج في أماكن موحشة قد يفقد فيها حياته، لكنه يجعل من هذا التيه سببًا ليباهي بنفسه، خاصة وأن إبعاد الناس له، سبب جعله يتوخى أن يقع في شباك الضعف "فالإنسان يعي اغترابه في انفصاله عن الحشد وتخلص من الروابط التي من شأنها أن تفقده الوعي بذاته[٣]"، مما اضطره أن يحول التيه وما فيه من مأساة إلى درع يباهي فيه بنفسه، منطلقًا من فكرة هي أن اجتيازه لهذه الصعاب أمر فريد، لا يقدر أي أحد عليه، وهذا ما يجعل من مباهاته بنفسه أمرًا يستحقه، وقال وهو يرثي فرسه النحام:

كأنَّ قوائمَ النَّحّامِ لمَّا تَحَمَّلَ صُحْبَتي أَصُلًا مَحَارُ[٤]

ففرض الناس الحكم بإبعاد السليك ورفضه، أدى به إلى الاستناد على من يثق به، وذلك هو فرسه الذي كان عوضًا له عن الناس الذين أبعدوه ورفضوا وجوده، فكان من الأحق له أن يرثيه ويأسف على فقده نظرًا لمكانته لديه، فهو رفيقه في حياة التيه، وساعده الأيمن في المهمات الصعبة، "فالشاعر الجاهلي وهو يرى الموجودات حوله تسلك وجودًا مشابهًا لوجوده يحس أنها تشاركه هذا الوجود الكبير[٥]"، فبدأ رثاءه بذكر قوائمه تعبيرًا

١ السليك بن السلكة (ت١٧ق.ه)، **ديوان الشنفرى ويليه ديوانا السليك بن السلكة وعمرو بن براق**، إعداد وتقديم: طلال حرب، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٦ن، ط١)، ص٨٥.

٢ محمد نور الدين أفاية، **الوعي بالاعتراف**، (الدار البيضاء: المركز الثقافي للكتاب، ٢٠١٧م، ط١)، ص٢٧.

٣ حسن محمد حماد، **الاغتراب عند إيريك فروم**، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ط١)، ص١٢٨.

٤ السليك، ص٨٩.

٥ باسم إدريس قاسم، **الشاعر الجاهلي والوجود: دراسة فلسفية ظاهراتية**، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٤م، ط١)، ص٢٢٥.

عن كثرة الأماكن التي ذهبوا إليها، والرحلات التي كانوا بها، والغارات التي خاضـــوها، فقوائم فرسه مرت به في الكثير من الأماكن على الرغم من كثرتها، فقال:

ومـــا يُـــدرِيْكَ مَــا فَقْـــرِي إليـــهِ إذا مــا القـــومُ ولَّـــوا أو أغـــارُوا

ويُحْضِرُ فــوقَ جُهــدِ الحُـضْرِ نــصًّا يَــــصيدُك قَافِلًــــا والمُـــــخُّ رَارُ[1]

عبر عن شدة حاجته إلى فرسه واشتياقه إليه خاصة عند احتدام القتـــال والحاجـــة إلـــى سرعة العدو، ووصف هذا المعنى بقوله: (فقري إليه)، ليذكر تمنيه وجوده، فهـــو دونـــه فقير يتمنى أن يكون معه حتى يسد حاجته إليه وشوقه له، ثم ينتقل إلى وصف شدة هزال هذا الفرس تعبيرًا عن حال التيه وما كان يتعرض السليك من أهوال "فالذي يعاني بؤسًـــا وفقرًا نجد ذلك واضحًا في جسده، الذي يبدو هزيلًا[2]"، ففرسه كان أعز ما يملك لكنه كان هزيلًا لدرجة أن عظامه يمكن رؤيتها، فشدة هزال هذا الفرس تشير إلـــى شـــدة هـــزال السليك نفسه، فهو لا يملك إلا ما يسد رمقه، ثم إنه حوَّل هذا التيه في وصفه هزال فرسه إلى مباهاة، فأخذ يباهي بقدرة فرسه على العدو، على الرغم من سوء حاله، وقال:

ألَـــا عَتَبَـــتْ عَلـــيَّ فـــصارمتني وَأَعجبَهَـــا ذوُو اللِّمَـــمِ الطِـــوَالِ

فـــإني يـــا ابنَـــةَ الأقـــوامِ أُرْبـــي على فِعْـلِ الوَضِـــيِّ مِـنَ الرِّجَـالِ

فـــلا تـــصلي بِـــصُعلوكٍ نَـــؤُومٍ إذا أمـــسى يُعَـــدُّ مـــن العيـــالِ

ولَكِـــنْ كُـــلَّ صُـــعلوكٍ ضَـــروبٍ بِنَـــصلِ الـــسَّيفِ هَامَـــاتِ الرِّجَـــالِ[3]

يبين المساوئ التي تعرض إليها بسبب حياة التيه، فالمخاطبة تعاتب الـــسليك نظـــرًا لأن سير أيامه يختلف عن غيره من الناس خاصة أولئك الذين يعيشون حياة التنعم بعيدًا عـــن شقاء التيه والحرمان، لكنه يوضح لها بأن حياته وإن كان يتخللها التيه، فإنه يفخر بقدرته على التمكن من خوض غماره والنجاة منه، بل المهارة في اجتيـــازه، وذلـــك لأنـــه فـــي الصراع" لا يكفي أن يعي أحد الأطراف أن غاياته وطموحاتـــه تتنـــاقض مـــع غايـــات وطموحات الطرف الثاني، بل لا بد من نشوء توجه نحو الكفاح والاستعداد النفسي لـــه[4]" ثم عرض مقارنة بين الصعاليك، يفضل فيها الذي يواجه الصعاب بكل قوة غير آبه بمـــا

١ السليك، ص٨٩.

٢ مازن مرسول محمد، **حفريات في الجسد المقموع: مقاربة سوسيولوجية ثقافية**، بيروت: منشورات ضفاف، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م)، ص٦٨.

٣ السليك، ص٩٧.

٤ إبراهيم إستنبولي، **علم الصراع**، (دمشق: دار الفرقد، ٢٠١٩م)، ص٦٩.

فيها من مخاوف، وهو في ذلك يجعل من اسم (الصعلوك) وما يتشبث به من سوء وتيه وشقاء مدعاة للفخر والمباهاة، وقال:

بكى صُرْدٌ لمَّا رأى الحيَّ أعرَضَت مَهَامِهُ رَمْلٍ دَونهم وسُهُوبُ

وَخَوَّفَهُ رِيْبِ الزَّمانِ وفقرُهُ بِلادَ عَدُوٍّ حَاضِرٍ وجَدُوبُ

ونَأيٌ بَعِيدٌ عن بِلادِ مقاعِسٍ وإنَّ مَخاريقَ الأمُورِ تُرِيبُ[1]

يحكي السليك معضلة واجهته، عبر وصف شعور الذي يرافقه، وهذه المعضلة هي الرحيل والفناء وما يستتبعه من مواجهة الواقع وقسوته بعد ابتعاد الناس عنه "فإذا كان السائد هو بقاء الفرد في مجتمعه فإن الرحيل يعد انحرافًا عن السائد الاجتماعي[1]" وهو في ذلك يتذكر أزمته الأولى في رفضه من الناس واختيارهم البعد عنه نظرًا لكثرة تلقيهم الأذى منه، ويتبدى ذلك من إدراكه معنى الانقطاع في البعد في قوله: (مهامة رمل دونهم وسهوب)، فصوَّر عمق رحيل القوم عبر وصف المسافة البعيدة التي حالت بينهم، التي ظهر تأثيرها على رفيقه الذي صار يبكي من ألم الفقد.

ثم وصف تداعي المستقبل الحتمي أمامه بذكر ريب الزمان والفقر، وتكالب الأعداء، وتباعد مسافة أي مكان يمكن العيش فيه، وانعدام الاطمئنان الذي حل محله الخوف الجاثم عليهما "والفزع من الزمان يتأتى من وصفه مرادفًا للتحلل والموت[2]" وذلك مما يزيد من مأساة الشاعر المُبعد خاصة وأن هناك اختلافًا "بين زمان العالم الخارجي أو زمان الأشياء، وبين زمان الذات[3]"، ثم قال:

فقلتُ لهُ لا تُبْكِ عَينك إنَّها قَضيةُ ما يُقضى لها فتنوبُ

سَيكفيك فَقْدُ الحَيِّ لَحْمُ مُغَرَّض ومَاءُ قُدُورٍ في الجفَانِ مَشُوبُ

ألم تَرَ أنَّ الدَّهْرَ لونَانِ لَوْنُهُ وطَورَانِ بِشْرٌ مَرَّةٌ وكَذُوبُ

فما خَير من لا يُرتجى خيرَ أوبَةٍ ويَخشَى عليهِ مرِيَةٌ وحُروبُ

رَدَدْتُ عليهِ نفسَهُ فكأنَّمَا تلاقي عليهِ منسرٌ وسُروبُ

---

١ محمد حسن علوان، **الرحيل: نظرياته والعوامل المؤثرة فيه**، (بيروت: دار الساقي، ٢٠١٤م، ط١)، ص١٤١.

٢ نيقولاي بردياتف، **العزلة والمجتمع**، ترجمة: فؤاد كامل، (القاهرة: آفاق للنشر والتوزيع، ٢٠١٨م، ط١)، ص١٤٠.

٣ علي الغيضاوي، **الإحساس بالزمان في الشعر العربي من الأصول حتى نهاية القرن الثاني للهجرة**، (منوبة: منشورات كلية الآداب بجامعة منوبة، ٢٠٠١م)، ص٣٤٤.

فما ذَرَّ قــرنُ الــشمس حتــى رَأيتُــهُ مُــضَادَ المَنَايَــا والغُبَــارُ يَــشُوبُ[1]

يخاطب رفيقه، وهو في ذلك يخاطب نفسه التائهة أيضًا، ويحثه على التفكر في الحاضـر وما فيه من خير وعدم استباق الأحداث في الحزن على ما لا يمكن التحكم به، وهو فـي ذلك يحاول تغيير مسار التيه والانغماس في التفكر به، على الانشغال برؤية مـا يُـسعد ويسر، تعبيرًا عن أن وجود الطعام والشراب أمرٌ يجب عليه عدم التهـاون فيـه، فحيـاة التيه وإن كانت واقعة عليهما، لكن وجودها لا يعني تجاهل أي خير يحدث لهمـا وعـدم الاحتفاء به، منطلقًا من إدراكه ما يحدث في الدهر، وهـو أن الـسوء يتخللـه الخيـر، فالإنسان الذي يتصف بالشر المحض هو الذي لا يتبدى منه أي خير، وهنـا يظهـر أن اتجاه السليك إلى تحويل التيه إلى مباهاة يقوم على إدراكه هذا المبدأ، وتحويله إلى وسيلة يقاوم بها ما يعترض في حياته من مخاوف قد تودي بعقله وروحه، لكنـه يـستمر فـي تحويل ما يؤذيه ويشقيه إلى وسيلة يباهي فيها بقدرته على التمكن منها، جاعلًا من تحويل التيه إلى مباهاة وسيلة يحمي بها نفسه من هول ما يعيشه.

ثم يصف اطمئنان رفيقه بعد كلمات السليك، في قوله: (رددت عليه نفسه)، فروحـه الخائفة الهالعة قد اطمأنت وارتكزت حتى عاد قويًا، ثم إنه لا يلبث وأن يـذكر صـراعًا خاضه وهو يدافع عن رفيقه الذي أبلى بلاء حسنًا، وقال السليك:

ســمعتُ بجمعهِــم فَرَضَــختُ فــيهم بنعمــانَ بــن غَفْقَــانَ بــن عمــرو

فــإن تكفُــر فــإنّي لا أبــالي وإن تــشكر فــإني لــستُ أَدْرِي[2]

تظهر المباهاة في بيانه عدم الاكتراث بتأثير الناس عليـه، فهـو لا يكتـرث بجحـدان المعروف الذي يقدمه لهم، كما لا يكترث بشكرهم له، وهو في ذلك يبـين عـدم تـأثره برضاهم عنه أو سخطهم عليه، اعترافًا منه بتقدمه عليهم وأن ما يقومون بـه لا يعنيـه، لأنه لا يراهم شيئًا ذا بال.

وبذلك فإن فقد احتوى الخطاب الإبداعي عند السليك تمازجًا بين التيـه والمباهـاة، كان سببه يعود إلى الحرص على عدم إظهار الضعف، ولملمة شـتات الـذات المتعبـة مرارًا وتكرارًا حتى لا يُظن أنه قد أُنهك، لما في ذلك من إيذان لأعدائه بسهولة الفتك بـه

١ السليك، ص٨٠

٢ السليك، ٩١.

"فالإنسان يتحد بالسعي الدؤوب نحو الحفاظ على الذات وزيادة قدرتها[1]"، وينعكس سبب ذلك أيضًا إلى صعوبة حياة الصعلوك المُبعد وقسوتها، فهي تتطلب منه الاستمرارية في المضي وعدم التباطؤ لأن ما سيخسره هو حياته، ولارتباط الصراع الاجتماعي بالذات الفردية وسماتها الاجتماعية "فإن التناقضات الاختلافات بين الأنماط المختلفة للشخصية تؤثر على المجتمع[2].

ثانيًا: الخطاب الإبداعي بين التيه والمباهاة عند عمرو بن براق:

نُفِي عمرو بن براق وصار صعلوكًا هائمًا، فاضطرته حياته القاسية إلى خوض معترك الكثير من الصعاب، فالنفي الذي تعرض له أدي به إلى اللجوء إلى الصحاري والجبال، ثم الإغارة على المجتمع الذي نفاه في محاولة منه لاسترداد عزة النفس التي كانت قد سُلبت منه[3]، وقد عبر عن ذلك في شعره الذي جاء مباشرًا، عبر فيه عن شقاء حياته والتيه فيها، كما عبر عن فخره ومباهاته بهذا التيه، من ذلك قوله:

تقولُ سُليمى لًا تعرَّضْ لتلفةٍ وليلُكَ من ليل الصعاليكِ نائمُ

وكيفَ ينامُ الليلَ من جُلُّ مَالِهِ حُسَامٌ كلونِ الملحِ أبيضُ صَارِمُ[4]

يدمج الشاعر بين ذكر العناء والفخر به، فهو في خطابه الإبداعي يجمع بين التعبير عن التيه والتعبير عن المباهاة، وهو في ذلك يحاول أن يبين أنه مضطرٌ على الاستمرار في حياته وإن كانت تعرض روحه وجسده للتلف ثم الفناء" فالهوية ليست انكفاء على الذات، بل هي فعل وانفعال وتفاعل[5]"، فجعل من هذا العناء سبيلًا للمباهاة، فبدأ الأبيات بتذكر قول سليمى التي تحذره من أن يقع فيما لا تُحمد عقباه، بأن يتم أسره أو قتله، ثم قارنت بين حاله وبين حال غيره من الصعاليك الذين قضوا ليلهم في نوم إلا أن حياة عمرو التي أُجبر بها على التيه كانت تجبره أن يخوض لياليه على حالٍ مختلف، فهو يقضي ليله هائم يقاتل بسيفه الذي مكنه من البقاء، وقد عبر عن هذا المعنى بقوله: (جُل ماله)، فهو مضطر للبقاء حتى أثناء الليل؛ نظرًا لأن جل ما يملك معتمدٌ على مكثه أثناء الليل، لأنه الوقت الملائم للإغارة.

---

١ أحمد العلمي، **فلسفة الوجود والسعادة عند سبينوزا**، (الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ٢٠١٥م)، ص٢٢٧.

٢ يُنظر: ناديا عاشور، **الصراع الاجتماعي**، (عمّان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ٢٠١٤م، ط١)، ص١٩٦.

٣ عبد الله محمد الغزالي، **النص الأدبي من الاستجابة إلى التأويل**، (الكويت: آفاق للنشر والتوزيع، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ط١)، ص٥٦.

٤ عمرو بن براق، **ديوان الشنفرى ويليه ديوانا السليك بن السلكة وعمرو بن براق**، إعداد وتقديم: طلال حرب، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٦ن، ط١)، ص١٠٧.

٥ محمد بن عياد، **الكيان والبيان**، (صفاقس: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠١٣، ط١)، ص١١٧.

وفي وصفه لبياض السيف في قوله: (كلون الملح)، تعبير عن مدى ظهوره ورسوخ وجوده في حياة الشاعر، إذ لم يكتفِ ببيان أن هذا السيف كلون الملح، بل أكد على هذا المعنى بقوله: (أبيض) فحتمية وجود السيف تجبره على أن يضطر إلى البقاء اثناء الليل وعدم النوم.

وقرن في البيتين بين الجمل الإنشائية والخبرية، فالجملة الخبرية (وليلك من ليل الصعاليك نائم)، توسطت بين الجملتين الإنشائيتين، جملة: (لا تعرض لتلفة)، وجملة: (وكيف ينام الليل)، فتوسطت الجملة الخبرية ليعبر بها عن أمر واقع بين الجمل الإنشائية التي احتوت على نهي المخاطبة للشاعر، محذرةً إياه من أن يُتلف نفسه، وتساءل الشاعر وهو ينكر قدرته على النوم في وقت يستوجب منه أن يَجِدَّ ويجتهد حارصًا على البحث عن أسباب تساعده على البقاء والعيش، ثم قال:

ألم تعلمي أنَّ الصعاليكَ نومُهُم قليلٌ إذا نام البطينُ المسالِمُ

جُزارٌ إذا مسَّ الضريبةَ لم يَدَع بها طَمَعًا طوعُ اليدينِ مُكارِمُ[1]

يتابع الشاعر سؤال المخاطبة منكرًا عليها جهلها بديدن حياته في قوله: (ألم تعلمي)، فالعهد بالصعاليك أن نومهم يوصفُ بالقلة مقابل نوم غيرهم ممن ليسوا بصعاليك، واصفًا إياهم بقوله: (البطين المسالم)، تعبيرًا عن اتصافهم بالشبع والأمن، مقابل الخوف والرهبة التي تكتنف حياة الصعاليك أثناء التيه والقسوة.

وهذا الأمر يتضمن المعاناة والشقاء "فالكآبة هي البئر العميقة التي تتغذى منها ذلاقة اللسان[2]" مما انعكس على الخطاب الإبداعي للشاعر، وكأن الإبعاد الذي تعرض إليه الصعاليك يرغمهم على أن تختلف لياليهم عن ليالي غيرهم، ثم ينتقل السياق إلى معرض المباهاة، إذ بدأ البيت بقوله: (جزار)، مبالغة في وصف إمعانهم في القتال، فهم لا يتركون فيما يقاتلونه مطمعًا يبقى لمن يليهم، واصفًا إياهم بالقوة في الفتك والشراسة في الاندفاع، وعبر عن هذا المعنى بصورة حركية بين بها مشهد سرعة إقدام الصعلوك على هدفه دون توانٍ.

وقد كرر الشاعر استعمال الحرف (إذا) ليعبر به عن المواقف التي عند حلولها فإنها تؤدي إلى ضرورة سرعة الاستجابة عند الصعلوك؛ نظرًا لسرعة سير حياتهم وأن أي

---

١ عمرو بن براق، ص١٠٨.

٢ جان فرانسوا ماركيه، **مرايا الهوية: الأدب المسكون بالفلسفة**، ترجمة: كميل داغر، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٥م، ط١)، ص٣٥٢.

بطء في الأداء يمكن أن يكلفه حياته، فقوله: (ألم تعلمي أن الصعاليك نومهم قليل)، حال قارن به قوله: (إذا نام البطين المسالم)، ثم قوله: (جزارٌ)، فسَّر به قوله: (إذا مس الضريبة لم يدع بها طمعًا طوع اليدين مكارم)، ثم قال:

إذا الليل أدجى واكفهرَّ ظلامُهُ وصاح من الأفراط بومٌ جواثِمُ

ومال بأصحاب الكرى غالِباتُهُ فإني على أمر الغواية حازِمُ[1]

كرر استعمال أسلوب الشرط الذي بدأه بالحرف (إذا) ليصف مشهدًا جديدًا يحمل أحوالًا خاصة، فالزمن هو الليل الذي جاء وصفه له بأنه حالك موحش مدلج بالظلمة، في قوله: (واكفهرَّ ظلامه)، جاعلًا من الليل شخصًا في قوله: (أدجى).

وحتى يؤكد مدى ظلمة الليل عبَّر الشاعر عن دور البوم في هذا المشهد، فهو يتواجد عند ازدياد حلول الليل وتعمقه في الظلمة، ويغلب النوم أعين الساهرين، فالليل الذي يمهد له الشاعر لا يقوى عليه حتى الساهرين، فعند توفر كل هذه الظروف يتبدى الشاعر بثقة، لأن هذا الموقف ميدان يتمكن فيه من نيل ما يصبو إليه أثناء غاراته، وعبر عن هذا المعنى في قوله: (فإني على أمر الغواية حازم)، فعبر بجواب الشرط لينبئ به عن أن نيته بالإغارة لا تتأتى له إلا في مواقف خاصة تُمكنه من الظفر بما يرجو.

وفي وصفه للزوم حلول هذه الأمور التي هي: الليل شديد الظلمة، ووجود البوم علامة على ترسخ عمق حلول الليل، ثم نوم الساهرين، كل ذلك يتبين منه شدة الحذر الذي يتخذه الشاعر الصعلوك خشية الوقوع في خطأ يودي بحياته؛ نظرًا لكثرة خصومه، ولسوء ما يريد القيام به في الإغارة التي تشتمل على سرقة وقتل، والحاجة إلى وجود الظلمة ليتخفى بها عن مريدي قتله، ويتمكن من الفرار بكل سرعة ومهارة، ثم هو يؤكد على قوته في خطابه لمن يتحداه، ثم قال:

كذبتُم وبَيْت الله لا تأخذونها مُرَاغَمَةً ما دام للسيفِ قائِمُ[2]

يحمل الخطاب التعبير عن التهديد بالسيف، والنتيجة التي يؤدي إليها بالفتك بمن يظن أنه سيغلب الشاعر الصعلوك، فمن السيف يظهر التيه بما فيه من خوف وشقاء، وكذلك تظهر المباهاة في كثرة ذكر الشاعر له، ليؤكد به على قوته في دفاعه عن نفسه، فحوَّل

١ عمرو بن براق، ص١٠٨.

٢ عمرو بن براق، ص١٠٨.

الشاعر التعبير عن التيه مع السيف إلى التعبير عن المباهاة بعدِّه إياه وسيلة يواجـه بهـا خصومه.

وفي الأبيات استعمل الشاعر أسلوب القسم ليؤكد بُعْدَ منال أعدائه على الظفـر بـه، وإثباتًا لمدى قدرته على الفتك بهم، ثم قال:

تحـالف أقـوامٌ علـيَّ لِيـسلَمُوا   وجَرُّو علـيَّ الحـربَ إذ أنـا سـالِمُ

أفـاليومَ أدْعَـى للهـوادةِ بعـدما   أُحيلُ على الحيِّ المَـذَاكِي الـصَّلادِمِ[1]

يصف مبلغ الظلم الذي وقع عليه في حياة التيه والشقاء، فلم يكفِ أعداءه أنه طريد هائم؛ بل إنهم اجتمعوا على الفتك به، معبرًا عن ذلك في قوله: (تحالف أقوامٌ عليَّ)، وفي قوله: (أقوام)، تعبير عن كثرتهم وتتابع تحالفهم عليه، "فالقهر الذي يتمثل في الـشعور بـالظلم الشديد يتولد نتيجة التعرض للضغوط الكثيرة التي تُفرض عليه[2]"، ثم أردف الشاعر ذكر سبب تكالبهم عليه، وذلك حتى يسلموا من أذاه، ويسلموا من بطشه فيهم، لكنه يتجه إلـى مواجهتهم مؤكدًا على أنه إنما كان مضطرًا إلى ذلك في قوله: (وجرُّوا عليَّ الحـربَ إذ أنا سالم)، فهو يبين أن قتاله إياهم إنما كان بسببهم فهم من أرغمه على قتالهم، لكنهم بعـد ذلك يرجونه أن يتوقف عن قتالهم، ويتعجب الشاعر من ذلك في قوله: (أفـاليوم أُدعـى للهوادة)، فهم يرجون الهدنة معه بعد أن كانوا هم من جره للقتال.

وهو في ذلك يعبر عن نفسه بضمير المفرد مقابل التعبير عـنهم بـضمير الجمـع للمباهاة بقوته، فهو فرد يواجه جماعة، فلم تسعفهم كثرتهم عند قتال الشاعر تعبيرًا عـن مدى قوته ومهارته في القتال، واتخاذ الوقت المناسب للإغار عليهم، والـسرعة الفائقـة بالعدو، وقال:

متى تَجمَع القلـبَ الـذَّكِيَّ وصـارِمًا   وأنفًـا أبيًـا تجتنبـك المظـالمُ

ومن يطلـبِ المـالَ المُمنَـعَّ بالقنـا   يعش مُثريًا أو تخترِمـهُ المَخـارِمُ[3]

يبين الأسباب التي تجعل هؤلاء الأعداء يسعون للفتك به، وقد حصرها في ثلاثـة أمـور هي: (القلب الذكي) ويعبر فيه عن أهمية النباهة والفطنة والتخطـيط وقيـاس الأمـور، لأهميتها لصعلوك دمه مهدور، يحاول في كثير من أيامه أن ينجو بحياته.

---

١ عمرو بن براق، ص١٠٨.

٢ همت بسيوني عبد العزيز، "**النوع الاجتماعي والقهر**"، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، (الحولية٣٧، الرسالة٤٦٥، ديسمبر، ١٤٣٨ه/٢٠١٦م)، ص١٢٩.

٣ عمرو بن براق، ١٠٩.

والأمر الثاني الذي لا بد منه هو السيف الذي وصفه بقوله: (صارمًا)، مستبدلًا التعبير بصفة السيف عن ذكره لأهميتها في السياق، فالصارم صفة تستدعي معاني القطع والفتك والقتل، والأمر الثالث الذي يؤدي وجوده تكالب الأعداء عليه، ذكره في قوله: (وأنفًا أبيًا)، تعبيرًا عن أهمية مباهاة الشاعر بنفسه واعتزازه بها، لما في ذلك من بعد عن الذل وما يستتبعه من هوان وضعف.

فالشاعر مزج بين التعبير عن التيه والتعبير عن المباهاة في وصفه شدة الأذى والظلم الذي ناله من أعدائه، ثم ذكره لصفات يعتز بها، وتعبر عن تمسكه بما يؤكد به على قوته وأنفته وحرصه على عدم الخضوع لأعدائه، ثم عبر بأسلوب الشرط الذي أكثر من استعماله ليعبر به عن أهمية القوة وعدم الانزواء، فالمال الذي يناله المرء في قتاله يؤدي به إلى أن يعيش في غنى، وفي ذلك مباهاة يفخر فيها بما يحصل عليه وينجزه في غاراته.

لكنه يعاود سريعًا إلى التيه في قوله: (أو تخترمه المخارم)، تعبيرًا عن الخوف الذي يكتنف حياته، فهو يعيش في حال قد ينقلب عليه في أي لحظة، فالسوء ماثل في ثنايا أي موقف يعيشه مذكرًا إياه بألا يغتر بأي سعة قد تعرض عليه، ثم قال:

وكنتُ إذا قومٌ غَزونـي غَـزوتُهُم فهل أنا في ذا يَالَ هَمَدَانَ ظَالِمُ

فلا صُلْحَ حتى تُقْدَعَ الخيلُ بالقَنَا وتضرَبَ بالبيض الخِفافِ الجَمَاجِمُ[1]

يبين بأنه وإن كان قد ظُلم، إلا أنه لا يرضى بأن يُظلم غيره، وإن كانوا أعداءه، مبينًا بأن قتاله إياهم لم يحدث إلا بعد غدرهم به، ثم بدأ البيت الثاني بقوله: (فلا صلح)، مؤكدًا على رفضه القاطع لأي رضوخ للصلح معهم تعبيرًا عن مدى الأذى الذي وقع عليه منهم في ظلمهم له.

والحل الذي أمامهم هو الحرب التي ذكر ما يحدث بها في صورة حركية يستبدل بها ذكر اسم الحرب صراحة، بذكر ما يحدث فيها، تعبيرًا عن خبرته بما يحدث بها وتنديدًا لأعدائه بأنه سيأخذ حقه منهم في ساحة القتال، ثم قال:

ولا أمْنَ حتى تَغشِمَ الحربُ جَهرَةً عبيدَةَ يومًا والحروبُ غواشِمُ[2]

١ عمرو بن براق، ص١٠٩.

٢ عمرو بن براق، ص١٠٩.

ينفي حلول الأمن عليهم في قوله: (ولا أمن)، ليؤكد امتناع الاطمئنان عنهم، وترسخ الخوف بدلًا عنه، ليثبت بذلك إصرار الشاعر على أخذ الثأر من أعدائه، وبذلك فقد ظهر التيه في تعبير عمرو بن براق في السياقات التي عبر فيها عن المباهاة، ولم تظهر المباهاة خالصة إلا في سياق تهديده لأعدائه، ووصفه رغبته الصريحة في الانتقام منهم.

الخاتمة:

بحثت الدراسة التمازج بين التيه والمباهاة في الخطاب الإبداعي عند الشاعر الذي تعرض للإبعاد، وما يتضمنه من رفض الناس له، واختارت الدراسة شعر السليك بن السلكة وعمرو بن براق لاشتراكهما في التعرض للإبعاد والرفض بعدهما صعلوكين، ولاحتواء خطابهما الإبداعي على التعبير عن التيه وما فيه من شقاء وسوء حال، ثم تحويل هذا التيه إلى وسيلة للمباهاة، وقد ظهر ذلك واضحًا عند السليك بن السلكة الذي جعل من التيه وسيلة يفخر بها في بيان مقدرته على تجاوزه.

أما عمرو بن براق، فقد ظهر هذا التحول من التيه إلى المباهاة عنده في مضامين خطابه الإبداعي الذي حشد فيه ذكر مشاق الحياة، وقسوتها، ثم يُظهر نفسه فيها بعده شجاعًا يتمكن من هزيمة ما يعترض طريقه منها، وبذلك فإن الانتقال من التيه إلى المباهاة، كان وسيلة حتمية لديهما لاشتراكهما في ظروف خاصة، هي إبعاد الناس لهما، فكانت المباهاة وسيلة تكيف يتمكنان بها من حماية الذات من أي ضعف قد يتبدى منها، فيودي بها للهلاك من الأعداء المتربصين الذين يتأملون حدوث أي هفوة.

وبذلك فقد جاء التعبير في الخطاب الإبداعي متوائمًا مع لجوء الشاعر إليه بعده أداة يتمكن عبرها الشاعر من الهروب من وقع الحياة المخيف، خاصة وأن الصعلوك يفتقد الاجتماع القبلي المنظم وما فيه من دعم ومساندة، حينما اتخذ الشاعر من شعره وسيلة تمكنه من تسجيل مشاعره العارمة وحفظها، والتي ظهر فيها التقلب بين محاولة التعبير عن إنسانيته في ضعفه وتعبه، ثم خوفه الشديد من أن يودي هذا التعبير بحياته، حينها يهرب سريعًا إلى التعبير عما يؤكد أنه مازال قويًا لا يهاب الصعاب، ثم يسند الهوان للمصائب جاعلًا منها مدارًا لفوزه عليها.

ثبت المصادر والمراجع:

- إستنبولي، إبراهيم، **علم الصراع**، (دمشق: دار الفرقد، ٢٠١٩م).
- أفاية، محمد نور الدين، **الوعي بالاعتراف**، (الدار البيضاء: المركز الثقافي للكتاب، ٢٠١٧م، ط١).
- بردیائف، نیقولاي، **العزلة والمجتمع**، ترجمة: فؤاد كامل، (القاهرة: آفاق للنشر والتوزيع، ٢٠١٨م، ط١).
- حماد، حسن محمد، **الاغتراب عند إيريك فروم**، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤١٥ه/١٩٩٥م، ط١).
- ابن السلكة، السليك، وعمرو بن براق، **ديوان الشنفرى ويليه ديوانا السليك بن السلكة وعمرو بن براق**، إعداد وتقديم: طلال حرب، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٦ن، ط١).
- عاشور، ناديا، **الصراع الاجتماعي**، (عمَّان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ٢٠١٤م، ط١).
- عبد العزيز، همت بسيوني، "**النوع الاجتماعي والقهر**"، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، (الحولية٣٧، الرسالة٤٦٥، ديسمبر، ١٤٣٨ه/٢٠١٦م).
- العلمي، أحمد، **فلسفة الوجود والسعادة عند سبينوزا**، (الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ٢٠١٥م).
- علوان، محمد حسن، **الرحيل: نظرياته والعوامل المؤثرة فيه**، (بيروت: دار الساقي، ٢٠١٤م، ط١).
- عياد، محمد، **الكيان والبيان**، (صفاقس: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠١٣، ط١).
- الغزالي، عبد الله محمد، **النص الأدبي من الاستجابة إلى التأويل**، (الكويت: آفاق للنشر والتوزيع، ١٤٣٢ه/٢٠١١م، ط١).
- الغيضاوي، علي، **الإحساس بالزمان في الشعر العربي من الأصول حتى نهاية القرن الثاني للهجرة**، (منوبة: منشورات كلية الآداب بجامعة منوبة، ٢٠٠١م).
- قاسم، باسم إدريس، **الشاعر الجاهلي والوجود: دراسة فلسفية ظاهراتية**، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٤م، ط١).
- ماركيه، جان فرانسوا، **مرايا الهوية: الأدب المسكون بالفلسفة**، ترجمة: كميل داغر، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٥م، ط١).

- محمد، مازن مرسول، **حفريات في الجسد المقموع: مقاربة سوسيولوجية ثقافية**، بيروت: منشورات ضفاف، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م).
- المدنيني، زهير، **إنية الإنساني ومنزلة الآخر**، (صفاقس: دار نهى، ٢٠١٠م، ط١).
- منير الحافظ، **سوسيولوجيا الرهبة: الأنا القومية وأنماط ثقافة الخوف**، (دمشق: النايا للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠١١م، ط١).